عراق ما بعد الانسحاب [1]

انتهى الانسحاب العسكري الأميركي الرسمي من العراق، وفُتح المجال أمام الأسئلة الصعبة. التفاؤل صعب هذه الأيام، بدليل الأزمة المستجدة بين أطراف الحكم الطائفي أخيراً. هل اكتمال الانسحاب سيكون منطلقاً للمصالحة الحقيقية؟ أم أنّه على العكس، سيعيد الحرب الطائفية إلى الساحة؟ الاحتمالان واردان، بما أن الموضوع تتحكم به جملة إشكاليات داخلية وخارجية

الخروج الأميركي: انقلاب المواقف ودلالاته

من احتفال اكتمال الانسحاب الأميركي قرب بغداد (محمد أمين ـ رويترز)

علاء اللامي

يبدو واضحاً أنّ الكيفية التي خُتِمَتْ بها «مسرحية» انسحاب قوات الاحتلال من العراق، أحرجت فريقين تحديداً، وكشفت خطأ المنطق الذي تبنّياه طوال السنوات القليلة الماضية. فالفريق الأول، الذي يضم بعض الجهات المناهضة والمقاومة للاحتلال، كان مصرّاً على أنّ المحتلين لن ينسحبوا من العراق أبداً. هذا الفريق شاهد بالعينين المجردتين قوات الاحتلال وهي تنسحب ومعها معداتها الثقيلة وأسلحتها. وبغض النظر عما قيل عن تجمعها في الكويت أو في قواعد سرية في بلدان مجاورة أخرى كالأردن، فإن انسحاباً عسكرياً حقيقياً قد حدث على الأرض، وأثبت بطلان منطق هذا الفريق. الفشل كان أيضاً من نصيب الفريق الثاني، الذي يضم أطرافاً في حكم المحاصصة الطائفية، ويتبنّى منطقاً يقول إنّ الانسحاب حصل في موعده المحدَّد، ونتجت منه استعادة السيادة الوطنية كاملة ومعها الاستقلال الناجز. لقد فشل هذا الفريق بدوره في إقناع الجمهور العراقي وغير العراقي بصحة منطقه، فالاحتلال ـ وإنْ سحب الجزء الأكبر من قواته العسكرية ــ لا يزال ممسِكاً بالبلد سياسياً واقتصادياً وأمنياً بموجب اتفاقية «الإطار الاستراتيجي» واتفاقات سرية أخرى متفرِّعة عنها أو متساوقة معها، وهو لا يزال يحتفظ بسفارة عملاقة هي الأكبر في العالم تعتقد بعض المصادر أن الوجود العسكري الأميركي فيها لن يكون محدَّداً بالـ 15 ألفاً الذين أعلن عنهم الأميركيون أنفسهم، بل قد يتجاوز ذلك إلى عشرات الآلاف، إضافة إلى قواعد عسكرية سرية كشف زعيم التيار الصدري مقتدى الصدر عن وجود إحداها في قرية «سيبران سرو» الكردية شمالي أربيل. إضافة إلى ذلك، ترك الاحتلال البلد مكشوفاً ومباحاً عسكرياً، تحديداً جوياً وبحرياً، وإلى حد ما برياً حتى، وعلى حافة اقتتال مذهبي وطائفي وقومي. لقد ترك بلداً غير قادر على إطعام سكانه إلا بواسطة الاستيراد وشراء الطعام بالمال النفطي لملايين العراقيين ضمن برنامج «البطاقة التموينية المجانية» وشهراً بشهر. إنّ الموقف الأقرب إلى الواقع من هذا الانسحاب، هو ذلك الذي يؤمن به فريق ثالث في المشهد السياسي العراقي، والقائل بأن انسحاباً عسكرياً فعلياً قد حدث، لكنْ لم تنتج منه استعادة

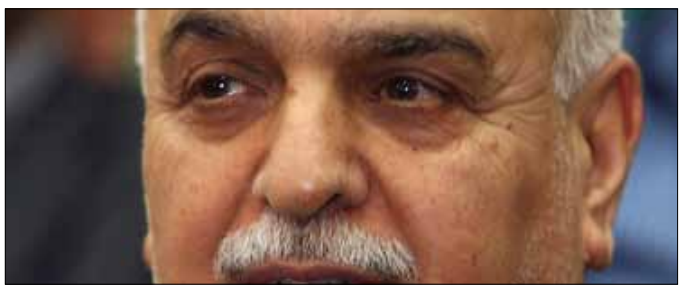

الهاشمي مطلوب للعدالة

اتخذت الأزمة المستجدّة في العراق منحى أكثر خطورة، أمس، بعدما أصدر القضاء العراقي مذكرة اعتقال بحق نائب الرئيس طارق الهاشمي (الصورة) على خلفية «قضايا تتعلق بالإرهاب»، بينها التخطيط لمحاولة تفجير مبنى البرلمان في 28 تشرين الثاني الماضي، وذلك بعد ساعات من صدور قرار بمنعه من مغادرة البلاد. وكانت السلطات العراقية قد أرغمت الهاشمي، مساء أول من أمس، على مغادرة طائرته بسبب وجود مذكرات توقيف بحق عدد من حراسه الشخصيين، قبل أن يُوقَف بعضهم ويسمح للهاشمي بالسفر إلى السليمانية، بعد تدخل من الرئيس جلال الطالباني. وردّ الهاشمي على قرار المنع بالتحذير من أنه مستعد «للتذرع بأقصى درجات الصبر وانتظار سلوك عقلاني من الحكومة»، كما حمّل «الجهة التي تدفع باتجاه التصعيد» كامل المسؤوليّة.
(أ ف ب، يو بي آي، رويترز)

تقرير

قراءات إسرائيلية للانسحاب: الحرب التي كرّست النفوذ الإيراني

محمد بدير

في ظل غياب مواقف رسمية تكشف عن حقيقة المقاربة الإسرائيلية لحدث انسحاب الاحتلال الأميركي من العراق، يمكن العثور على خبايا هذه المقاربة من خلال تعليقات الصحف الإسرائيلية. وعند قراءة هذه التعليقات، يصبح مفهوماً الصمت الإسرائيلي الرسمي، الذي يشبه كبتاً سياسياً لا تتيح طبيعة العلاقات مع الحليف الأميركي التنفيس عنه. فالانسحاب من بلاد الرافدين، بحسب الصحافة العبرية، ليس سوى فرار يعكس فشلاً في أداء المهمة التي شُنّت لأجلها الحرب، وهي ضم العراق إلى منظومة النفوذ الأميركية وتطويق المدّ الإيراني عبره. وتعظم مصيبة الانسحاب على إسرائيل في ضوء حصولها على وقع الربيع العربي، الذي كرّرت فيه واشنطن خطأها، بحسب الصحف العبرية، بإطاحة ديكتاتور من دون إعداد البديل الذي يضمن مصالحها.

وتحت عنوان «وداعاً يا عراق»، رأت صحيفة «هآرتس»، في افتتاحيتها، أن الانسحاب الأميركي ينهي فصلاً مأساوياً في تاريخ الولايات المتحدة والعراق ويجعل الوقت مناسباً لإجراء «حساب النفس والدم والجيب لتلك الحرب». فالعراق، بحسب الصحيفة، «لم يصبح دولة أكثر أمناً، كذلك فإن ديموقراطيته موضع خلاف، وهو أحد الدول الأكثر فساداً في العالم (المرتبة 175 من أصل 178 دولة). ورغم أنه يملك رابع احتياطي نفطي في العالم، فإنه لا ينجح في توفير الكهرباء بانتظام لمواطنيه، فضلاً عن أن جودة الخدمات العامة والأمن الشخصي للمواطنين يجعل البلد واحداً من أسوأ الدول».

وتمضي «هآرتس» في تقديم جردتها الحسابية الموجزة للحرب، فترى أن مهمتها الإقليمية كانت تحويل العراق إلى دولة فاصلة في وجه انتشار النفوذ الإيراني في المنطقة «وكان يفترض أن تجعل من العراق دولة مستقلة من الناحية الاقتصادية، وأن ينضم كدولة قوية وديموقراطية إلى السور العربي في مواجهة إيران. أما النتيجة فجاءت معاكسة؛ فالعراق هو الحليف الأهم لإيران في المنطقة، اقتصادياً وسياسياً، ولا يزال يُعَدّ دولة مشبوهة في الجامعة العربية، والصراعات الداخلية فيه لا تضمن مستقبل التحالف بينه وبين الولايات المتحدة».

وخلصت الصحيفة إلى أنّ الحرب الأميركية في العراق «لقنت الولايات المتحدة والمنطقة درساً استراتيجياً قاسياً؛ إذ إن العراق وأفغانستان شكّلا الصدمة الحربية ما بعد حرب فيتنام. صدمة ينبغي أن توضع أمام أنظار كل من يتطلع إلى حرب جديدة ضدّ إيران».

من جهتها، ربطت صحيفة «معاريف» بين تزامن الذكرى السنوية الأولى للربيع العربي و«الفرار الأميركي من العراق». وكتب محلل الشؤون العربية في الصحيفة، عوديد غرانوت، أن «ما بدأ قبل تسع سنوات كاستنفار أميركي يستهدف إطاحة الدكتاتور صدام حسين، وإقامة ديموقراطية حقيقية في العراق تكون حليفة واشنطن في الشرق الأوسط، تقلّص تحت حكم (الرئيس الأميركي باراك) أوباما إلى هدف أكثر تركيزاً: الانصراف من العراق بكرامة، وبالحد الأدنى من الإهانة بما يسهل عملية انتخاب أوباما لولاية ثانية».

ولم يحد غرانوت في تقويمه لنتائج الحرب الأميركية عن الخلاصات التي توصلت إليها «هآرتس»، فرأى أنّ «القوات الأميركية تترك خلفها عراقاً غير مستقر مع بُنية تحتية سياسية متهالكة وتوتر طائفي، عرضة للتآمر المتعاظم والنفوذ القوي من جانب إيران الشيعية المجاورة». والاستنتاج الذي يترتب على ذلك، وفقاً للكاتب، أن «قطع رأس دكتاتور عربي بوسائل عسكرية أسهل من تغيير ميزان القوى الداخلي في أي دولة لخلق قاعدة للديموقراطية واحترام حقوق الإنسان بالتدخل الخارجي». ويُسقط غرانوت استنتاجه هذا على الواقع المصري، مشيراً إلى أنه «لو فهمت الإدارة الأميركية هذا الدرس العراقي، لما سارعت قبل عام إلى غرس سكين في ظهر الدكتاتور (حسني) مبارك وطالبته بحزم بالتنحي فوراً، قبل أن تتأكد من أسس إقامة ديموقراطية حقيقية في مصر، يتمتع فيها المواطنون، بمن فيهم الأقليات، بالحقوق الكاملة والمساواة».

وإذ يرى أن الربيع العربي لا يزال، بعد مرور عام، بعيداً عن نهايته رغم أن الشتاء قد حل، يخلُص غرانوت إلى أن «الاتجاه العام لا يبشر بالخير للغرب ولإسرائيل. فالتدخل الأميركي للإطاحة بالدكتاتوريين في الشرق الأوسط واستبدالهم بأنظمة ديموقراطية لم يثبت نفسه بعد كأمر ناجع، مع صعود التيارات الإسلامية، ولم يجعل من أميركا حبيبة للشارع العربي». ويضيف أن «الفرار من العراق وامتناع واشنطن عن عمل حازم ضد إيران المتحولة نووياً أثرا جدياً في صورة الولايات المتحدة كقوة عظمى مصممة على الدفاع بأي ثمن عن مصالحها وعن حلفائها في المنطقة». وعن خلفية هذا الأمر، يقول إن «السعودية، الحليف الأفضل لأميركا في الشرق الأوسط، فهمت منذ الآن أنه